

﴿ تمة الاجتماع ٢ لجمعية أم القرى - الداء أو الفتور العام ﴾

أجابه (المرشد الفاسي) إننا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسفة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع فخصنا لذلك محسبين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الأكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلها التي هي الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصح أن يكون سبباً من جملة الأسباب ولكنه لا يكفي وحده لإيراث ما نحن فيه من الفتور. على أن انحصار همه الأمراء الدخلاء في الجباية والجندية أدى بهم إلى إهمال الدين كلياً ولو لا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولى) وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله أم ما تؤديه به سلطة الأمراء العاملين على الاطلاق ؟ فإهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين إلى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر إلا على رؤس الألسن لاسيما عند بعض الأمراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لا يتراءون بالدين إلا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمة . كما أن ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركاً خفياً من حيث لا يشعرون فإذا أضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب إلى العدل وإقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وترقية العباد وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » (١) وقد افتخر النبي عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

(١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن أن اتخاذ الشمس إلى الآن شارة للملك في إيران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الأولى (٣) الحديث موضوع باطل وإن استشهد به بعض العلماء الأعلام ومنهم من حجة الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسى) بغداد سنة (٦٥٦) أمر أن يستقى علماءها أى الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين على بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : إني أظن أن السبب الأعظم لمختنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبنى ديننا على أن الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام إن وجد وإلا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع وإذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتتحل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرت) أو ملزم (كفاربيالدى) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب كيف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام حتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه إلى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين في سائر الملك وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديري ومعلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادئ، لصاعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

أجابه (الحقق المذنب) إن فقد الرابطة الدينية والوحدة الحلقية لا يكفيان أن يكونا سبباً للفتور العام بل لا بد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالذى يحول في فكرى أن النظامه هى من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين إنما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء فيهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة . ولا شك أن مثل هذا المقام في الأمة شرفاً باذخاً يعاظم على نسبة المهتم في تحمل عبثه والتيسر بأعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدى العلم تطلخوا إلى هذه النزلة التي هي فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعاليين عنهم فتجلبوا للمراحمه والظهور في مظهر العمى المعظمه بأذخرب في الدين ، وسالوا مسلك ترأهدين . ومن العادة أن ينبجأ ضعيف العلم إلى التصوف كما يلجأ

فأول الجهد إلى الكبر وكما ياجأ قليل المال إلى زينة اللباس والاثاث (مرحبي
 فصار هؤلاء يتعالمون يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يمتطه بحكم النظر
 الكريم فيفسرون البسمة أو الباء منها مثلاً بسفر كبير تفسيراً مخلوفاً بانط لا معنى
 به أو تحكماً لا يبرهان عليه، ثم جاؤا الألة وراثية اسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها
 وتسمم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرقوها . وبالامعان
 نجدهم قد جاؤا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح « لتبعن سنن من قبلكم شراً
 بشير وذراعاً بذراع - وفي رواية : حذو القعدة بالقعدة - حتى لو دخلوا جحر حطب
 تبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو شنيء ! » . وذلك ان
 هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هناك كاه أو جله عن أصحاب التهود وتفسيرهم ومن
 الجامع المسكونية ومقراتها ومن البابوية ووراثية السر ومن مناهة مقامات البطارقة
 والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة المبشرين
 وصبرهم والرهينات ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريتها والرهينة أي التظاهر بالفقر
 ورسومها والحمية وتوقيتها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في البسمة وشعورهم
 ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنحات
 واصولها وإقامة الكنائس على القبور وشد الرجال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع
 لسيها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والستار من
 احترام الذخيرة وقدمية العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض
 الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصليب . وانزعوا الحقيقة من السر
 ووحدة الوجود من الحلول والحلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والموك
 من الميلاد وحفلته من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصليان وتعليق ألواح الأسماء
 المصدرة بالندامة على الجدران من تعليق الصور والتماثيل واستفاضة والمراقبة من
 التوجه بالقلوب انحاء أمام الأضنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة
 من خطر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم ومد اليهود باب الأخذ
 من التوراة وتمسكهم بالتمود إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شبراً
 شبراً واقفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحراً جحراً وهكذا إذا تبعتنا البدع
 الطارئة نجد أكثرها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحراً لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلية أو العصية من العامة والأمرء السلسى القياد طبعا إلى الشرك لأن التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض وليس كئله شئ، ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب فقال « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أى صغيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشبهقاً وخلاعة وتويقاً (مرحى) .

والحاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير وباستمالهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتعسف الشيطانى وتزيينهم لهم رسوماً عميل إليها النفوس الضميفة الخاملة سموها آداب السلوك ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابى ولا تابعى ظاهرها ادب وباطنها تشريع وشرك ويجذبهم إليه الجاهلين بتعيب الدين من طريق العلم والاصل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهورين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد تجاسروا على وضع أحداث مكدوبة أشاعوها فى مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء اخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع أنها لا أصل لها فى كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فى الاستفادة من الدحول فى الرابطات والعصيات المنعقدة بين اشياعيم وأما الترهيب فبتهديدهم مناوئتهم أو مسيئى الظن بهم باضرارهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ضرراً يتجلهم فى دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق فى بغداد ومصر والشام وتسان قدماً ولكن لا كسوقها القائم فى القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هى دس معظم أذهانها لا الإسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يرتوا طينتهم أسوأ حتى توسع فى هذه الممارخ السيئة فاقبس لهم المدلسون كثيراً مما يبدون بهمومه عن نفسى وإن كان الدين آباء مرينه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه الخواصم سرى ذلك إلى أذفاق بالعدوى من الأمرء إلى العلماء الأغبياء إلى العوام .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم^(١) نفوذا عظيماً به أفسدوا كثيراً فى الدين وبه

(١) السحر لغة إخراج الباطل فى صورة الحق بالتورية والخداع . والسحر تارة

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبالين الذين ترد من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الحبل يظنونه حالة من الخشوع. وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ربيع أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم مما نسمى في البلاد العثمانية (دعاكوا وطعامية) (مرحى). وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضياعاً للعلم وللدن لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الأدلاء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء ففتوشت عقائدكم وضمف يقينهم فضيع الأكترون حدود الله وتجاوزوها وقعدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور.

أجاب (المولى الرومى) إن كل الديانات معرضة بالتحدى لأنواع من التشويش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوى نشاط وعزم ينهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين إذا كان أصلها واهياً (لامتينا كقواعد الإسلام) بهوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية ويبدلون ما عز وهان حفظاً لشرفهم القائم بشرف قوتهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين في أيدي أقوام آخرين. ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن للنشأ الأصلي لكل فساد في أخلاق العباد والنبت الأول لكل شقاء في بنى حواء هو أمر واحد لا نانى له ألا وهو وجود الساطة القانونية منعدلة ولو قليلاً لفسادها أو لقلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يرضى علينا برجال ينهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفتكرون بحزم ، ويحملون بعزم ، ولا يتفكرون . حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، وخرقاً كبيراً ، وأجرأ عظيماً ؟ وعندى ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

وهنا نيه السيد الفراتى الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف عندئذ جهز

= الذى جاء في الشرع ليس غير هذا بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون في قوله جلت حكمته « فلما ألهموا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم » وقوله « فإذا جابههم وعصمهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »

(الأستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد إلا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومى لغارس مغوار يحب ماعودنا من التفصيل والاشباع والان قد آن وقت الظهر وحين أن يتفرق لتدرك الصلاة وموعدنا غداً إن شاء الله تعالى .

باب التربية والتعليم

قانون التعليم الرسمي والجمعية العمومية

كان كل مصرى يسىء الظن بكل عمل يجرى على أيدي المحتلين فما زال الأعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الأكترون بأكثر نتائج الأعمام الإصلاحية النافعة في الري والمالية والإدارة والسياسة ولولا أن أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وأرادتهم الخير للبلاد وأهلها وليس هذا مقام بسط هذه المسألة ولكن هذه الكلمة تمهيداً يأتي وهو ان سخط الناس من سير نظارة المعارف في التعليم جعل شأناً عظيماً لاقتراح توجيه الفاضل أمين بك الشمسى على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم « بروجرامات » ومثشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومحاس النظر . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة نظير المعارف الجمعية العمومية ويناضلها فضال بنى شعل ليذفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقتهم بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب وسائر الموظفين تحت يده ولأن من شأن الواثق بحسن عمل ينسب إليه حقيقة أو عرفاً بالذات أو بالواسطة أن يحب عرضه على الناس ويسعى في توجيه أنظارهم إليه لا سيما إذا كان الغرض من العمل المنفعة العامة وكان تعد الناظرين فيه من أسباب ترقيه وإتقانه كنظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن في الحسبان ولا تخوض في تحليل ذلك مع الحائذين ولكننا نبحت في دفاعه وتعليقه في مناقشة الجمعية العمومية في جلسة ٦ ذي الحجة سنة ١٣١٩ ومختصر ما نورده من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمسى بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم